أصوات مُعاصرة

السنة ٢٦- العدد ١٣٧ – ٢٠٠٥م

العـــــودة

قصص

عبد الله مهدى

أصـــوات مُعاصرة

أسسها:
د. حسين عـــــلي محمد
أبريل ١٩٨٠

المراسلات: ديرب نجم، شرقيـــة ـــ مجدي محمود جعفر ـــ ١٣ ش مدرسة التجارة.

موقعنا على الإنترنت:
http://www.aswat.4t.com/

الإهــداء

- إلى .. النسمة الهادئة في زمن العواصف

أسرتي ..

(هناء ، وجدي)

عبد الله

دفقـــات

هنـــــاء

وبحق من جعل قيساً يهيم على وجهه ، وخلق من رأس حسن مركباً شراعياً على صفحة النيل ، وهزَّ بتغريد العندليب أوتاري الداخلية.

أرضاً قاحلة كنت، جميع النباتات والحيوانات لم تستطع التأقلم معها إلا الشارد منها، التهمت بعضها ، وأحسست بالسأم من الباقي.

دخلت هناء أرض لا أعلم كيف؟!

لكنه حدث ... شدتني بساطتها .. تلقائيتها ، صنعت لنفسي جناحين وذيل حاولت الطير بجوارها علني أستجدي عطفها ، تاهت عني بطيور مصطنعة كثيرة خامت حولها..

اقترتب بشدة من الله ، صليت الفجر وعدة ركعات لقضاء الحاجة ، كانت رعاية الله التي جعلت مني أرضاً خصبة تتبختر في ربوعها هناء .

حبل الغسيل

رأيتها بفناء المدرسة، تتحرك بين الزهرات اليانعات بخفة، تحط على كل زهرة محاولة تلقيح سلوكها، حينما أراد أحد زملائها إخراج إحدى الأزهار من طقوسها.

نهرته بقوة .. انتبهت إليها .. أخيراً وجدت من أنقب عنه ، أعجبت بالكثيرات لكن لم تتمكن إحداهن من تمهيد الطريق أمامي لتخطي مرحلة الإعجاب .. إلا هذه السمانية، بساطة ريشها ، تلقائيتها.

حاولت جذبها لروضتي ، دخلتها .. تتبختر بين ربوعها ، التقينا على فيض مشاعرنا ، وتلقائية وبساطة تصرفاتنا ، ارتبطنا .. اتفقنا على « عش العصفورة يكفينا » ، أمَّمَ الأهل والخلان على اتفاقنا .

بعد فترة شغلنا يبحث أزمة حبل الغسيل ، تدخل الأهل والأحباب لفكها دون جدوى، شقتي في الدور الأرضي، المناور

والمنافذ غير كافية.

حينما أحسست بأن سمانتي ستطير من روضتي، ذكرتها باتفقانا « عش العصفورة يكفينا» .. فقررنا تجاوز أزمة حبل الغسيل .

مكسورة الجناح

لوغارتم عيناها لا هي عيون المها، ولا هي في طرفها حور.. لكنها عيون ناعسة تحمل موروثات عتيقة .. حاولتُ أن أجعل من عينيها قناديل وهجة تنفض عنها موروثات السنين .. في البداية .. حاولتْ .. لكنها لم تستمر فهي تهوي غض الطرف ، وتعشق في شراهة عينيَّ وجرأتهما .. حاولتُ مرات ومرات أن أصلح جناحها الذي كسرته موروثات باليه ..

إلا أنني فشلت ، فهي تهوى أن تكون مكسورة الجناح.

انهيــــــار

تجاربي الكثيرة ، عزيمتي الفولاذية ، قدرتي على الصمود ، .. انهارت جميعها ، فؤادي يقطر دمعاً .. كنا نتبختر على كورنيش بحر مويس ، بحر مويس فرات بالجنة .. سعادتي تخطت مرحلة الكمال .. لقد تزين المكان بمشاعرنا المتدفقة دون سابق إنذار ..

قالت : علينا أن نعود للبيت الآن.

- لم نتأخر.

- الناس؟

- عليك ألا تهتمي بالناس.

- سيقولون أنها تعود متأخرة مع خطيبها .

وأدت سعادتي .. بحر مويس بركة عفنة ، وجوه حيوانية تتحرك حولنا .. تركتها برهة .. حزنت على أيامي الخوالي ، كنت أبتكر فيها وسائل تقنعني بالسعادة ، سعادتي الآن

تملكها .. تتحكم فيَّ كيفما شاءت .. اقتربتْ مني ، أقنعتني بأنها على حق ، الناس وكلامهم .. عالجتُ تـأزمي ، ونحن في طريقنا إلى بيتها ، وحينما اقتربنا من لحظة السعادة ، كنا قد وصلنا إليه واستقبلنا أهلها.

لعـــنة

كانت مشاعرنا دائما تغرد بأغاني العندليب الأسمر ، كُلَّما تقابلنا ، وبعد فترة انقطاع لا نعلم سببها .. تقابلنا .. انتزعت منها البراءة ، تبلدت مشاعرها ، أضحت برميلاً ...

حينما استخبرت عن السبب ، قالوا:

انهارت أمام إغراءات برميل زيت وضغط الأهل ، وحينما تحولت لبرميل .. ألقى بها ..

فلعنت الزيت ، وضغط الأهل.

أحضـــــان

(١)

على مشارف المغربية ، بين أحضان سنبلات القمح ونوار الفول ... ، حملتنا النسمات ، فراشات خلاقة تتراقص بين أحضان أزهار مختلفة الألوان والأحجام .. ، انبهرنا بساعدتنا ، أفصحنا عن رغبتنا في السباحة على أنغام هذه النسمات الجميلة.

(٢)

كان اليهود يأتي إليهم السلوى على مشارف المغربية ، فيصطادونه بسهولة وتكون وجبتهم في العشاء ...

(٣)

سعادتنا بلا حدود ، استكثروها علينا ، أصابنا بنظراتهم ، وظفوا كل الموتيفات التي تبتز سعادتنا .. أضحيت لا أطيق رؤيتها وهي كذلك ، نقَّب الأهل عن تشخيص هذا التصدع غير المبرر .. عالجوه ..

(٤)

تحصنا بالمعوذتين ، لازمنا كتاب الله ، حرصنا على أداء
شعارنا الدينية ، فأضحيت زهرة تحضن فراشتها الرقيقة..

عيـــــون

كانت عيناها الجريئتان تحاصراني في كل لقاء ، تعرف أني ألحظ ذلك جيداً ، كنت في غبطة منه .. حينما أعلن رئيس القسم بأني سأحول للتأديب .. كانت مخالفتي لتوجيهاته واضحة، في الأعمال التي نشرتها في مجلة الجامعة .. احتوى كل مريدي ، مستغلاً خوفهم على مستقبلهم وعلي .. حاولوا إبداع حل وسط لا أضار منه ، شاركوا جميعاً في قطع مقالي من أعداد المجلة .. لملمت أشلاءه من صناديق القمامة .. عندما تقابلنا لم تعرني اهتماماً .. بعد تردد أخذت القصاصات ، وزينت بها جدران الجامعة .. تقابلنا ، وقفت تنظر إليَّ بجرأة أكثر .. وأكثر..

صـــــــورة

ظل يتـأمل .. مغروسة أمه بين ضلوع شاب ، أخذ يعبث بصحيفة ، قصف قلم ، انتبه لصورة تسيطر على مفرق الصحيفة. رجل مهيب يضع فاهه بين غابة (ميكروفونات) متنوعة ، الذين يستمعون بين نيام وآخرين يمثلون التاثر .. كلماته مغموسة بإنفعال تشخيصي .. الطفل مشدود للصورة الشاب جوعان وهي أكثر جوعاً ، لم يلتفتا للهو الطفل ، ألوان الصورة المتداخلة تبهر الطفل . حبات العرق تصبب من أمه والشاب ، أحست بالعرق ينهمر منها ، لمعان عينيها يأمر الشاب بشيء ، اقتنص (الفرخ) المبهر للطفل في الصحيفة ، صرخ ... تشبث به دون جدوى . أخذت تستغل عرقها في (تبويش الفرخ)وما به من صورة،عاونه الشاب بعرقه ، نجحا .. لكنهما لم ينجحا في اسكات الطفل.

توحـــــــد

مـــــحـــــرم فـــــؤاد

حلمت مع محرم فؤاد بـ (صبية .. يكون جولبها علي) كلما قابلت واحدة ، ألبستها حلمي ، فإذا بها تدفعني للبكاء، وتزيد أيامي عتمة ، فامتنعت عن الحلم وعشت في دوامة ...

****

سيـــد درويش

كل يوم أعبر محطة التمثال .. لا أحد يهتم بالتمثال ، شروخ واضحة بقاعدته ، لا أحد يلتفت .. ينتبه .. في يوم اثنين ، محطة التمثال مكتظة برواد السوق ، اندهش الجميع لإنهدار دم أسود وقيح من شروخ قاعدته .. الكل في حيرة ، كيف ..؟! تمثال ينزف دماً وقيحاً. لم يستطع أحد الاقتراب إلا أنا ، اندفعت مقترباً منه، غاصت قدماي في الدم والقيح ، وصلت إليه ، سمعته يئن بلحن فنان الشعب الخالد (سيد درويش) (قوم يا مصري) ..

طالبت الجميع أن يرددوا ورائي .. لم يترددوا في الاستجابة.. بدأت شروخه تلتئم ، وتوقف نزيف الدم والقيح.

* * *

عمر الشريف

اصطحبت رواد ندوتنا الأسبوعية لسينما قصر ثقافة بنها ، كعادتها جلست بجواربي .. التعليمات والأوامر كانت بانتظاري على باب الكلية ، مسئول كبير سيقابل رجاله بالنادي الرياضي بجوارها .

كان فيلم (الأراجوز) رائعاً وأداء (عمر الشريف) مبدعاً.. حينما قابل عميد الكلية ، أعضاء اتحاد الطلاب وهددهم قائلاً : أنتم تعلمون من الممكن أن أعمل ...

انفجرت صارخة : نعرف يا .. (وانهارت باكية)

اتجهت أنظار رواد السينما ناحية الصوت .. أصر الجميع على ترك السينما والرجوع إلى الكلية لإقامة ندوتنا الأسبوعية.

* * *

نادية لطفي

رأيت فيها (نادية لطفي) في (الناصر صلاح الدين) ..
ذهبنا لنقابة الصحفيين للمشاركة في تأبين الطالب الذي استشهد في مظاهرات الطلاب عن حرب الخليج الثانية ..

بعد أن انتهينا وفي أثناء خروجنا ، طاردونا ، احتويتها بجسدي ، ناورتهم .. أحسست بلسع جسدها ، أيقنا بانفلاتنا منهم ..

قالت : كيف ستعود؟

قلت : لا أعرف.

قالت : ولا أنا ، ليس أمامنا سوى الذهاب إليها.

كانت رفيقتنا ، ذهبنا إليها حيث تسكن حجرة على سطوح منزل ببولاق ، تركتها لنا .. بعدها انهارت قداسة نادية لطفي

تعريـــة

استنزاف

اكتظت حظيرة البط بنزيف من الدم المغموس بالريش اليانع، البط ينتف بعضه.

استفسرت من أمي فردت بيقين : البط الذي يخرج في الصيف يكون هكذا.

- والعمل؟

- ربنا يحوش.

بدأ البط يتساقط الواحدة تلو الأخرى ، حاولت وقف هذا الخريف ، فصلت البط القوية في الحظيرة (أ) ، مكث البط الضعيف في الحظيرة (ب) ، بط الحظيرة (أ) منشغل بتقوية بنيانه ، في حين بط الحظيرة (ب) ينتف بعضه ؛ نقلت المنتفين إلى الحظيرة (أ) ، فوجئت وبط الحظيرة (أ) يهجم عليهم منتفاً فيهم بشراسة ، نقلتهم راجعاً إلى حظيرتهم الأصلية (ب) لقوا نفس المصير من اخوتهم .. إلى الآن لا أستطيع وضعهم في مكان آمن.

الجـــــوع

رغم مرور السنين ، ما زلت أرى لوحة (الجزار) المبدعة في قريتي ، وقد اصطف أهلها وأمامهم إناء فارغ. ملت حبيبتي من رؤيتي الدائمة لهذه اللوحة ، وانفعالي بها في كل مكان نذهب إليه ..

في أحد الأيام ، جاءتني بصورة بمجلة تكشف عن أناس لا أعرف .. هل هم منا ونحن منهم ؟!

وقد جلسوا بمطعم وأحدهم خارج يوقع على شيك لدفع الحساب ، وفي صدر الصورة كتبوا (وجبة في الجنة بالتقسيط) .

لم أتردد في تمزيق الصورة والمجلة التي بها ، وألقيتها في وجهها.

الأمـــــل

لم أتوقع حدوث ذلك ، وقع على نشر مقالي (الأمل) بمجلة الحائط بالكلية ، كان المقر الرئيسي ، ازدحم الطلاب لقراءة المجلة ، وقفت أستكشف رد فعل قراءته على وجوههم ، انتشيت لرد فعلهم إلا طالبة منقبة .. تناولت حجراً ، دقت به الزجاج الحامي لمقالي ، انتزعته .. الكل يتأمل ، أخذت تمزقه ، شرط الزجاج يديها ، هم الجميع لنهرها ، أعلنت عن نفسي ومنعتهم عنها أخذت بقايا قصاصات مقالي من يديها لأجفف بها دماءها .

الطبـــل والزمـــر

أقطن روضة يانعة أنعم بكل ما فيها إلا هذه الشجرة ..

وسوس لي الهاتف قائلاً : عليك إجادة الطبل والزمر لتنعم بهذه الشجرة .

- الطبل والزمر ؟!
- لتطرب الحيات المسيطرة عليها .
- الطبل والزمر مقابله تخلي عن روضتي!!
- الشجرة فريدة.

سعى رفاقي جاهدين إلى إجادة الطبل والزمر ، حثوني على إجادته .. وقعت في شركهم ، بدأت أطبل وأزمر والحيات تطرب وتطرب ، دنوت من الشجرة قطفت ثمرة منها .. تذوقتها ..

عندئذٍ أدركت أنني وقعت في شرك الشيطان.

العفـــن

حصلت على شريحة اللحم البلدي بمعاناة. فقد حان وقت التلذذ باللحم الصافي الشهي ، التوافق مع شريحة اللحم مشكلة، والحفاظ عليها مشكلة أضخم ، في قريتي من يشتهون شرائح اللحم النتن ..

فإذا ظهرت شريحة من اللحم الصافي ، حاولوا إغراءها إلى أن يقتنصوها من رفيقها ، وبعد تعفنها يلتهمونها بشراسة ، لا يشبعهم حلهم من شرائح اللحم .

حاولت الحفاظ على شريحتي ، أغروها بأنهم سيسلقونها بالمسك ، ويزينوها بتوابل الحلي ، ويدثرونها برقائق من الحرير .. وقعت في حبائلهم .. تركوها تنتن وتعفن ، ابتلعوها .. أدركت أنها سقطت ، رجعت إلي متذللة ..

لكنني لا أطيق العفن.

انكســـار

وبحق من أبدع التمرد على جدران قلب (التوحيدي) ..

وبحق من شدني للنغم المنبعث من أوتار قلبي ، يغرد برؤى (التوحيدي) ..

إن خنوعك ، استسلامك .. وراءهما أشياء .

رصدت كل حركاته دون أن أدري ، انجلى أمامي سبب تغيرء .. كان يبدأ يومه متوضأ ببرميل زيت ، ثم يشرب منه ما يكفيه طول اليوم.

في أحد الأيام تسللت إلى بيته ، رميت على براميل الزيت لفافة مشتعلة ، انتشرت النار ، استغاث ألسنة من اللهب تخرج من زفيره ، نصحتهم بأن يحضروا طمي النيل ، ويلقوه على النار ..أطفأها .. التفتوا لألسنة اللهب الخارجة من زفيره ، دسوا في فمه طمي النيل .. انطفأت الألسنة .. عادت لقلبه نبضات (التوحدي)

أول الغيث

الــــورد البلـــــدي

عندما أدخل البيت ، كانت تقابلني بطبيعية وبساطة ، تقدم إلي النعناع البلدي والورد البلدي ، والتي شتلتها في وعاء قديم ، كنت أحس بالدفء .. غبت فترة عنها .. ولما عدت .. لم تقابلني المقابلة المعهودة ، ولم أجد لنعناع البلدي والورد البلدي وجوداً عندها ، إلا (فـازة) وضع بها ورداً صناعياً .. فضلت المغيب عن البيت ما بقي من عمري.

ركيــــة نـــار

بعد أن يصلي الأولاد الصبح حاضر ، يكونا الأب والأم قد أعدا (ركية النار) ، يجلس الجميع حولها ، يتحاورن في أمور حياتهم ، يقمرون أرغفة العيش عليها ، يدسون فيها (براد الشاي) ، يقلون البيض في القشد ، يغلون اللبن ..

يتناولون وجبتهم التي تعينهم طوال اليوم في مدارسهم وكلياتهم . وبعد صلاة العشاء ، يجلسون حولها مع الضيوف والأهل والخلان ، يتناقشون في أمورٍ كثيرة خاصة وعامة ، تنفض جلستهم.

حينما تزوج الأولاد ، لم يعد أحد يجتمع حول (ركية النار) ، كان الأب والأم يوقدونها منتظرين لمة الأولاد .. دون جدوى .

تعب الأب والأم من (ركية النار) طالبهم الأولاد بالامتناع عن إيقادها .. في أحد الأيام ، استغلا خلو البيت من الأولاد وأزواجهن .. أوقدا (ركية النار) ، أغلقا حجرتهما ، فضلا الذهاب للعالم الآخر وبجوارهما (ركية النار) .

مزامـــير

سمعنا أنغاماً مزمارية تأتي من كل جانب ..

قلت : صمي أذنيك.

استجابت

زادت الأنغام تصاعداً ، فشلت في إقناعها بالاستمرار في صم أذنيها.

ذهبنا إلى منبع هذه التزميرات ، رأينا جميع الأصدقاء يرقصون عليها .. تركتني ودخلت معهم حلبة الرقص ، زادت تألقاً وجمالاً.

بعد فترة فكرت في الرقص معهم ، جربت نفسي ، وثبت فشلي ..

* * *

آدم

أخذ أحد أصدقائي قصصاً لي ...

وقال : سأنشرها في أكبر المجلات.

قلت : كانت شجرة الحنطة أعظم شجر الجنة.

في أحد الأيام ، أتاني بعض الأصدقاء بقصة منشورة بعنوان «الحريق».

قلت: لم أكتب قصة بهذا العنوان.

قالوا: صورتك واسمك وضعا عليها.

جذبت المجلة منهم ، قرأت القصة واكتشفت أن صديقي قد أبدل عنوان قصتي «الوفاق» بـ «الحريق»...

وبدل عبارة «تحاوروا حتى توصلوا لحل يكفل للجميع حقوقهم»

بعبارة « لم يتحاوروا وبدأ كل شيء يحترق »

أعطيت المجلة لأصدقائي وقلت:

لم أكل آدم من الشجرة طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضاً.

جـــبروت

كانت صاحبة حال ، أعجبت بنفسها ، بجمالها تسلب الرجال ، وبقوتها تقهرهم...

حينما تقابلنا تسلحت بالجبروت ، رُدَّت إلى صوابها ، التزمت الاستقامة التامة .. حافظت على جبروتي.

* * *

سريالـــيـــة

نظروا إليه بسريالية مفرطة ، ضقت بنظرتهم ، حاولت وضع بعض الخطوط التعبيرية عليه ، تعرَّت حقيقته أمامهم، لفظوه ..

وبدأوا يبحثون عن آخر ينظرون إليه بسريالية.

* * *

هـــروب

طفل صغير ، لم يقبل أن يلبس درعاً ، ولا أن يحمل سلاحاً ، حمل مقلاعه وحجارته ..

حينما شاهدناه تأملنا .. مقلاع وحجارة في مواجهة أقوى الأسلحة ..

قال أحدنا: في مواجهة الكلاب.

ظل يصوب مقلاعه وحجارته ، حتى هربوا هروب الكلاب.

* * *

لائحـــة

لم يكن أمامي سوى الهروب ، فقد ضقت بلائحة بيتنا ، لا أرى .. لا أسمع .. لا أتكلم ..

ذهبت للعمل عند أقاربي ، لم يسووُا بيني وبين من يعمل عندهم من أجانب ، وحينما أطلب حقي ، لم يروا .. ولم يسمعوا .. ولم يتكلموا ..

فرجعت لبيتنا مستسلماً للائحته.

* * *

نظـــرة

- هذا البيت بيتنا !!
- لا .. هذا البيت !!
- هو .. هو .
- أهذه الفترة في عمره الممتد تغيره هكذا؟!

شروخ كبيرة بقواعده ، عناكب شرسة تقطن أركانه ، أثاثاته المتهالكة ، تصدر أزيزاً مخيفاً مرعباً .. اقتربت من أمي.. لم تهتم ..

قلت : أين أرانبك ؟!

- سكنت الفئران مكانها.
- سأعيد كل شيء كما كان.

نظرت إليّ نظرة لم أستطع تفسيرها ..

* * *

المـــــارد

لبس أمي فأفسدها ، حاولت أن أخلصها منه ..

قالوا: أبعد عنه ، ما زلت عوداً أخضر.

زاد إصراري على تطهيرها .. قابلته .. ظل يتطاول ويتطاول ، لم أستطع تحديد نهايته ، بإصرار اقتربت منه ، غرستُ مِثلة في رقبته ، تحول لحمار ..

ما زلت أمتطيه ..

* * *

مـــرأة

عصيـــــان

الطقس البارد وحداثتهما ساعدا في انطلاق رائحتهما ، شنت هجوماً مدبراً على الأغشية الأنفية للعمدة ، استسلم مغشياً عليه .. جـرَّة الخفراء إلى داخل الدُّوار ، أفاق بفحل البصل ..

قطع قائلاً : سل في جتتي .. سل في جتتي .. حشوه ..

حشو .. ووه .

علق شيخ الخفراء : مفيش سل يا ...

قاطعة آمراً : لازم أعرف بتاعت مين ... بتاعت مين اللي عملتها .

هبَّ الخفراء منقادين وراء شيخهم ، يشنون غارات فوضوية على بيوت القرية ، قطائع من أهل البلد تساق لدوَّار ، يدير عامل التحقيق ، بينما ينسق الخفير الإداري دخول المتهمين فرداً .

وبعد مجهوداً انحصرت الجريمة في ثلاث..

قال للأول مستجوباً : مش قادر تتحكم في تبعتك.

- : مش بتعتي.

- : انته اللي بتمشي بيها من هنا.

- : مش لوحدي.

- : بتوكلها إيه؟

- : برسيم فحل.

أمره عامل التلفون بالانتظار خارج الحجرة ، وطالب بإدخال الثاني.

- : بتوكل بتاعتك إيه؟

- : برسيم سيده.

- : انتظر بره ، وخلي اللي بعدك يدخل.

- : أمرك ...

دخل الثالث فسأله : بتوكل بتاعتك إيه؟

- : ربة.

فذ عامل التلفون واقفاً وصاح : بتعتك هَّية اللي ...

- : أقسم بالله .. ا .. ا .. هـ .. لأه.

- : اسكت .. اسكت.

- : أمرك .. أمرك .. بس عايز أسأل حضرتك ..

- : اسأل.

- : لما بتعلق بتعتك في الساقية وتتعب من اللف والضرب بتعمل إيـ .. يه؟

صمت عامل التلفون برهة ..

- : بتعمل إيه يا أفندي؟

- : بـ .. جلك ..

فانصرف الجميع..

السمن الصناعي

غواها بأكلها حتى تكون أكثر رشاقة وقوة جمالاً ، حرصت على تناولها ، استعمرت جسدها ، بدأ يتحكم فيها كيفما شاء.

* * *

قلت له: طالبتها بالامتناع عن تناولها.

- : أعرف.

- : حاولت إقناعي بتناولها.

- : أعرف .. وما دوري ؟!

- : تساعدني في إقناعها بالامتناع عن تناولها.

- : لن ترضى بأدواتي .

- : سأرضى.

* * *

منزل كبير على شكل خيمة محاط بسور متهاوٍ به شروخ كثيرة ... بوابته الحديدية متصدأة موصدة ... لم نلتفت إليها ،

دفعنا جانباً من السور ، هوى بيسر .

حديقة المنزل ليس فيها سوى الصبَّار ، قام باقتلاعه وأمرني بالمشاركة.

قلـــت: لقد قمت بفعل فاحش.

- : ألم أقل إنك لن ترضى بأدواتي.

- : سامحني.

* * *

تبخترنا في الدهليز ، الحجرات متضاربة ، الأثاثات واهية غير منسقة .. فخريطة المنزل الداخلية فوضوية ..

دخلنا حجرة تكتظ في التاريخ والنقد والإفتاء .. أشعل عود ثقاب.

قـلـت: لقد حوَّلتنا لحيوانات.

- : ألم أقل إنك لن ترضى.

- : عذراً .. إن تدخلت في شيء بعد ذلك لا تصاحبني.

* * *

عاودنا التبختر إلى القاعة ، شدني سقفها بما خط عليه...

توجهنا لسرير متهالك مطروحة عليه امرأة بضة عارية وبجوارها جلباب مطعم بالخرز والحلي ، ختمت جبهتا بهلال ، يمتطيها حبي نردي ..

ضربها ... دفعت الصبي بيدها واستقامت.

قلت : بدلاً من ضربها .. اقتلع رأس الصبي.

« قال هذا فراق بيني وبينك »

* * *

تمـــرد

الجنـــــازة

بكت السماء ملحاً ، وتعرجت الأرض ... وتعثرت ، وحامل النعش في تصارع .. فريق يود الطير به وآخر يحاول إيقافها ، وبعض المشيعين يبكون والبقية يتباكون ، وأنا لم أستطع البكاء ولا التباكي.

مر بخاطري موقفه طالباً من أغنياء عائلته مساعدة أبناء عمومتهم الفقراء حتى ...

شكل فكرته تشكيلاً منمقاً .. تفشت نارية خضراء في سراديب عائلات القرية ، سعوا لتنفيذ تشكيلها.

وابل من ألقاب سجيلية رموها عالية .. مريض بالأنانية ، يسعى لزعامة ، مغتصب .. رغم ذلك شق الطريق مواصلاً البناء ، وما إن قرب الانتهاء .. حتى حدث ما حدث.

كان ممتطياً صهوة جواده الأبيض عائداً إلى مزرعته ، فوجئ بـ (عربة نصف نقل) تطارده .. ظل يراوغها ، أصرت على تنفيذ المخطط .. سقط .. وطئته ، حاولت قتل الجواد

الأبيض ، فشلت .. مكث أهل القرية بجوار الجثة أياماً يرتشفون رائحتها ... جاء الطبيب الشرعي ، زاد من التمثيل بالجثة إلا أنه لم يقترب من رأسها ، والملفت أن العربة لم تستطع تحطيمها.

عسكر وحرمية

قال الحاكم بلهجة جافة: لماذا اقتنصت النخلة؟

- لست لصاً.

- بالله عليك ... دلني على التسمية المناسبة.

- لست ملكي ولا ملك أخي.

- إنها في حيازة أخيك.

- الدم الذي بيننا أكبر من الحيازة.

- لماذا ادعى أخوك عليك ذلك؟!

الحكاية يا سيدي الحاكم تبدأ عندما استغل العسكري «خلبصت» أخي وسيطر على قلبه وأفهمه بأن ذلك في صالحه ، ويضمن له به سيطرته على باقي جسمه والأماكن التي يتجول فيها هذا الجسم.

علـق الحاكم قائلاً : أي أن الحيرة في الحكم معرفة من اللص .. أنت أم العسكري.

ليزيل هذه الحيرة .. طلب من الحاجب أن يحضر ورقتين

وقلم ، كتب على إحداهما لص ، وعلى الأخرى عسكري ، وخلطهما جيداً ؛

وقال بلهجة الآمر : على كل واحد منكما سحب ورقة وإعطائها لل[illegible] فعلاً ..

كان القوم على كافة أجناسهم وعقائدهم يترقبون هذا الحكم .. انجلت حقيقة الأمر ، أضحى العسكري لصاً والمتهم عسكرياً ..

قال الحاكم مكملاً قوالب الحكم : عسكري يا عسكري.

رد العسكري الجديد بفرحة : نعم .. نعم.

- أين اللص؟

- هذا هو.

مشيراً إلى العسكري القديم.

كان رد فعل الحاكم هذا التغيير عادياً وكذلك القوم ، وأعلن الحكم النهائي ..

« بحفظ القضية ضد مجهول »

صح العرب صح

وقف في منتصف المربع وصاح: صح العرب صح.

تبادل من في الجهة اليمنى بالنسبة له الأماكن مع بعضهما ، ومن بالجهة اليسرى كذلك .. دار يتناول ركلة من كل ركن في المربع ، دلك بكلتا يديه أردافه برهة ..

رجع لمنتصفه وصاح : صح العرب صح.

تناوب من في اليسار الأماكن مع اليمين ، انغرس في مكانه مبهوراً ..

تساءل : كيف يتفق اليسار مع اليمين؟

طالبوه بأخذ حقهم جزاء عدم استطاعته الوصول إلى أحد الأركان الأربعة ..

ألحوا في طلبهم ..

ابتلع جرعة الهزيمة ، وقف يدلك أردافه مدة ، حاول رؤية جلبابه الأبيض القصير الضيق الطرف من الخلف ، تأثير الركلات مطبوع على أردافه ، ألحوا عليه أن يبد أمن جديد ..

صاح: صح العرب صح.

تبادلوا جميعاً الأماكن مع بعضهم حتى إنه لم يعد يميز بين من في اليمين ومن في اليسار ، أصابه وابل من الإنزعاج وثار :

اتـفـاق . . . . (ولـو)

انسجـام . . . . (فهذه هي البلية)

كان كل واحد منهم يلبس بدلة من الجينز ، أما هو فما زال مصراً على ارتداء هذا الجلباب الأبيض الضيق القصير ، رغم أنه يستطيع تفصيل بدلة عصرية منه وصبغها بلون لا تظهر فيه علامات الركلات.

لـــــو

الفتيات يتساقطن حول «الجريء» اشتد المهرجان ازدحاماً بالمتمنيات أن تكنَّ إحدى الجميلات .. بدأت أستجمع كل المعلومات حول «الجريء» وجميلاته ، لم أصل إلى ما يستحق هذا التساقط الخريفي ..

حركت مؤشر التلفاز حول «الجريء وجميلاته» تاركاً النشرة الرئيسية المشدود دائماً لمشاهدتها .. كل ما يميز «الجريء» قبلات باردة لجميلاته وأكروبات جنسية مصطنعة لهن .. بعد بضع حلقات ، مللت زيف الجريء وجميلاته ، حركت مؤشر تلفازي لمحبوبتي النشرة الرئيسية ، زاد حرصي على مشاهدتها ما صرح به «الشريف» بشكل جديد لها ابتكرته مجموعة من قطاع الأخبار وكانت المفاجأة أنها احتوت عدة مشاهد ..

المشهد الأول

جموع مختلفة الألوان من الناس ، قد انهالت تقطيعاً في الطفل « محمد الدرة » ، و(نزار قباني) تضخمت أحباله الصوتية من صراخه فيهم ، الطفل تفتت ..

انهالوا على « نزار » ضرباً وهو يصرخ:

(خلاصة القضّية

توجز في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهلية) (1)

(قطع)

المشهد الثاني

طوائف الأمة المختلفة ارتصت واقفة حانية الرؤوس ، وفرد واحد يمر عليهم فارداً كفه اليسرى يصفع كل منهم على (قفاه) وحينما يحس الواحد منهم بلسع الصفعة ، ينظر إليه بابتسامة بلهاء إلا (نجيب سرور) لم يحن رأسه وصرخ في الجموع..

(يا بلد مش عايزة تقرف م العسل

قاعدة فيه

نايمة فيه

قايمة فيه)[٢]

التفت الجميع ناحية الصراخ ببلاهة مستهزئين ضاحكين.

(قطع)

المشهد الثالث

نعوش صغيرة تجتاح المدينة ..، يزفهم عويل الأمهات وبكاء المشيعين ، يخرج (كاظم الساهر) من بين المشيعين مجوداً « موال بغداد» وحينما وصل في تجويده إلى :

(بغداد يا هزج الأساور والحلى

يا مخزن الضوء والأطياف) [٣]

خرج الأطفال من نعوشهم يغنون مع « كاظم » ... انفعل المشيعون ورددوا جميعا :

(قبل اللقاء الحلو .. كنت حبيبتي

وحبيبتي تبقين بعد ذهابي) [٤]

(قطع)

جموع مختلفة استلقوا على الأرض ، وقد وضعت كعكة حجرية [5] على بطن كل واحد منهم ، وقفت (نجلاء)[6] ورمت الكعكة الحجرية من عليها وصرخت :

ـ أين أنت يا صابر[7] ؟!

ـ أين أنت ؟!

رد من بين الجموع بتعب : هنا .. هنا يا نجلاء.

هرولت إليه .. ألقت الكعكة من عليه وصرخت فيه:

استيقظ .. استيقظ.

ـ ماذا حدث ؟

ـ الذئب سيلتهم «سارة».

ـ لا تخافي .. لا تخافي .

ـ كيف؟!

ـ لقد تعودت «سارة» رضع لبن الموت ..

(وصرخ في الجموع)

لقد تعودت « سارة » رضع لبن الموت.

انتبهوا .. ألقوا ما على بطونهم من كعك حجري .. استقاموا ..

صرخوا : لقد تعودت « سارة » رضع لبن الموت..

انبهرت بهذا التطوير الحادث للنشرة ، أحسست بإنفراجة ، في اليوم التالي تأهبت لمشاهدتها ، فإذا بها كما كانت، وكان أول أخبارها إقالة جميع قطاع الأخبار ، أطفأت تلفازي للأبد ، ثم عُدتُّ إلى إحياء مجالس السمر في قريتي ..

▣ ▣ ▣

هـــوامش

١. المقطوعة السابعة من قصيدة « هوامش على دفتر النكسة ١٩٦٧م » ص ٥ ، « نزار قباني مختارات » ٧ أبريل ١٩٩٩م ، كتاب في جريدة (الأهرام).

٢. من مسرحية «منين أجيب ناس » دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٦م ، نجيب سرور.

٣. ٣، ٤- من «موال بغداد » نزار قباني ، ص ١٠ ، كتاب في جريدة ، الأهرام ، ٧ أبريل ١٩٩٩م.

٤. « الكعكة الحجرية » قصيدة أمل دنقل سفر الخروج (أغنية الكعكة الحجرية) ص ٥٢: ص ٥٩ مكتبة الأسرة.

٥. نجلاء محرم .. قاصة لها مجموعة قصصية بعنوان (استيقظ).

٦. الشاعر أ : د / صابر عبد الدايم : قصيدته « سارة ترضع لبن الموت » .

أبنـــاء سلمــــــى

على الناحية اليسرى من الحارة ، تحت الجدار المائل للبيت القديم ، يجلسون .. ، أما (سليمان) فيجلس تحت الجدار المستقيم للبيت الجديد في الناحية اليمنى ، لا يفصل بينه وبينهم سوى أقل من مترين هما عرض الحائط ، بعد صلاة عصر رمضان ، والعشاء في جميع أيام السنة ..

يرصد حكاياتهم ، سمرهم ، همزاتهم ، رموزهم .

يجتهد في ربط خيوطها، إلا أنه غالباً ما يفشل .. فالحكاية تأخذ منهم ثلاث جلسات أو أكثر متفرقات أو متتاليات .. معظم الأحيان يقرر الراوي فقرات من حكايته للربط بين أطرافها .. لا يشعرون به إلا حينما يأمره أحدهم بإحضار كوب ماء .. بهمة ويطرق باب البيت القديم المفتوح دائماً ، يسمع من يسمح له بالدخول .. لا يرى من يسمعه لكنه يعرف صوت عمه « حرجة » ، يكاد قلبه يقتلع حتى يخرج من البيت .. تكوينات البيت من الداخل مخيفة ، الجدران

قصيرة غير مستقيمة ، معروشة بجذوع أشجار لم تهذب ، حتى الغاب بغلافه لا يكسي السقف بالكامل ، تبرز من السقف رؤوس حيوانات مختلفة من الطين والقش ، حيات ، كلاب ، بوم .. تمنى سليمان ألا يكون دم حرجة زفر حتى تؤثر فيه «عملات» (شعبان) ، ويبيع ربع فدان يبني بيته بالحجر كما تريد زوجته (حيرز) بشرط أن تبقى «الطلمبة» كما هي ، فسيلمان يحب طعم مياهها ، مثلهم .. فعندما يشرب أحدهما من الكوب يعلن :ماية الطلمبة دي زي السكر.

ــ (حرجة) عملها بإخلاص.

ــ كل اللي قدر يخطفه من جيب (حيرز).

ــ غار على نسوان الحارة لما كانوا بيروحوا حارة تانية يملوا منها.

ــ والصوفة اللي بيعملها (شعبان) لمراته.

ــ هوه اللي موسخ البلد ، لو ربنه يريح الناس منه.

أراد «سليمان» أن يسألهم عن سبب تفوقه في انتخابات الاتحاد الاشتراكي؟! ولكن لم يتجرأ على البوح به ، في تلك الأثناء مر عليهم (شعبان) ، تهافتوا جميعاً في الاحتفاء به .. سعى أحدهم أن ينهي هذا الحوار الذي يتكرر مع كل كوب ماء فسأل:

ــ مين اللي ريح الناس من (سلمى) ؟

ــ عبد الهادي خد بتار أمه .. اللي قتلها وهوه مصطول ، ومش حاسس بحاجة وهيه في
أرضها ..

ــ راجل والله .. (سلمى) كان خلاص.

ــ ضرب على بيت ربنا نار في صلاة الجمعة .. عشان خاطر الإمام الجديد اللي متعلم
في الأزهر.

ــ هوه و (شعبان) بيشربوا سوا.

ــ (شعبان) صعب عليه إن يسيب إمامة المسجد.

ــ سيبوكوا من السيرة الوسخة دي ... لسَّه متطلعشي من البيت.

ــ هو لسَّه محطش الصوفة.

دار بخاطر (سليمان) ما قبل عن سبب عشق (سلمى) للدم ، بأن سيده كان يستغله في تأديب من يخرج عليه فلما استفحل أمره ، أراد سيده التخلص منه ، فأمره بحفر بئر في حديقة السرايا ، وحينما شرف على الانتهاء من حفرة ، جمع السيد خدمه لردم البئر عليه ، فقفز سلمي من الحفرة مصروعاً فاتكاً بالكل ، وتشير بعض الروايات بأن السبب في محاولة سيده التخلص منه (كيد النسا) .. تمنى سليمان أن ينتهوا من

حكاية سلمي في تلك الجلسة، ويسأهم عن سبب نسب كثيرين إلى سلمي .. لكنه لم يتجرأ ، أنهوا جلستهم ، انقطع عنهم سليمان طوال فترة دراسته بالتوجيهية ..

بعد أن أنهى سليمان عامه الدراسي بتفوق كما يحدث في كل عام ، بدأ يعاود جلساته معهم ، ولكن كان يترسخ داخله كل عام تفاهة تلك الحياة ، بما يراه من تناقص دائم في عددهم ، بسبب الأمراض الكبدية الناتجة عن البلهارسيا ، ومن ضاق به الرزق فسافر للخارج ، المهم كان عددهم في تناقص ..

بدأ ينضم إليهم ويتحدثون إليه ولا يعلق ، وأخذوا يهمسون على نساء الحارة ...

في أثناء ذهاب سليمان لصلاة العشاء ، استنجدت به إحدى نساء الحارة ، لقتل ثعبان رأته في حجرتها ، أخذ (قنواً)في يده ، من دهليز البيت الصغير ، همَّ باقتحام دورة المياه وهي بجواره ، تحمل (كُلبًّاً) أحضره زوجها في أول رحلة له بالخارج.. مناذج سليمان شيئاً ..

قالت: أنا اتخيلت بيه في حجرة النوم اللي فوق.

دخلا الحجرة ، رائحة عطرة هجمت على جيوبه الأنفية ، انبهر بما حوله ، حجرة بهذا الجمال في حارته ، سرير مغطى بمفارش أمريكاني ، تسجيل ياباني بجواره شرائط لأغلب

المغنيين ، أرادت انتزاعه من انبهاره ..

قالت : يمكن دخل الدولاب.

زاد انبهاره بما رأى من أجمل الملابس بين دُلف الدولاب..

دار بذاكرته ما سمعه عن زوج (فرحانة) ، بأنه يعمل سائقاً عند الأميرة ، التي لا تستطيع الاستغناء عنه ، وتشترط عليه في أجازاته بألا يتأخر عنها أكثر من خمسة أيام ، يزيدهم إلى عشر ، فتقابله غاضبة ، فيرضيها بطريقته ...

أما (فرحانة) فتأخذ من زوجها يومين أو ثلاثة كل عامين ، وباقي العشر يقضيهم بين اخوته الذي اشترى لهم مطعمين بالإسكندرية ، بما وفره من عمله بالخارج ، ولم يسمع كلام فرحانة التي باعت القيراطين ورثها من أبيها لكي يسافر للعمل بالخارج ، ويشتري فداناً يعيشا منه هما وأولادهما ..

حاولت انتشاله من سرحانه ..

قالت: العيال وجدتهم بيروحوا في الصيف عند عمامهم في الإسكندرية ..

ـ ما رحتيش معاهم ليه؟

ـ مش برتاح . . كل اللي هناك تقلين .. واذا الواحدة اتكلمت يقولوا : فلاحة ..

ـ وهمه إيه ؟!

ـ دا حال الدنيا يا استاذ .. نسوا أصلهم ..

ـ أكيد التعبان هرب .

ـ دا مش بيفضل في مكان.

كان صوت الشيخ (إبراهيم أبو عبد الدايم) في مسجد «سيدي الأربعين» بكراديس قد نفذ إلى أذنه ، فاستحضر داخله شيئاً من الخشوع ، إلا أنها لم تمنحهم فرصة ، أدارت التسجيل على صوت (عبد الوهاب) «لا تكذبي» كان زوجها قد فسرها لها في أول عودة له من الخارج ، ولما سألته :

انت عرفت دي إزاي؟!

ـ الأميرة علمتني كل حاجة.

هذه القصيدة حينما يسمعها أو يقرأها (سليمان) تثير داخله أشياء كامنة ، فهام معها ، وهامت فرحانه معه ، ولم يخرج إلا بعد أن توقفت الحركة بالحارة ؛ مع ظهور الخيط الأبيض من الأسود ، ولم يصح من نومه إلا مع آذان العشاء لليوم التالي..

ومع أول حركة له في الحارة ، رأى الكل ينظر إليه بفخر واعتزاز ، لقد أعلنت فرحانة :

الأستاذ سليمان ربنا يحميه قتل التعبان اللي طفش عيالي وستهم من البيت..

وصل الخبر لهم في جلستهم .. حيث قال أحدهم بمكر :

بنت (سلمي) مايشة في الحارة بتدعيلك يا سليمان.

ـ علشان إيه؟!

ـ قتلت التعبان اللي كان مخوفها؟

فكر سليمان في اسم والد فرحانة فاستقر بأن اسمه ليس سلمي ..

بدأ سليمان يتجرأ ويتحاور معهم ويناقشهم ..

سأل : هي بنت (سلمي) اللي بتحكوا عنه ؟!

ـ بنته .. ومش بنته.

ـ إزاي؟!

ـ مش سمعتش موال (سلمي) بيقول : (وتلمت عليه عواقر البلد عشان الحبَل خطوه) ؟

ـ سمعته

ـ لما ربنا ريح الناس من (سلمي) ، حطوه في تابوت العمدة ، وكل نسوان البلد العواقر بلن في فمه ، بعدها أنجبن..

ـ فاطلق على أولادهن (أبناء سلمي) .. ليه خلتي (حيرز) ما عملتش كده ؟!

ـ عملت .. كل اللي شافوا قالوا : لما استعدت للتبول في فمه .. قفلوا .. حاول عمك (حرجه) فتحه .. ما قدرش .. وما

حدش عارف السر!!

وانفضت جلستهم ، وأخذ أغلب نساء الحارة المسافر أزواجهن ، أو من مات أزواجهن ، يعتمدن عليه في قتل الثعابين التي تقتل بيوتهن .

في أحد الأيام طالبته فرحانة أن يقتل الثعبان الذي عاود الرجوع لبيتها ، بعد أن انشغل عنها سليمان بقتل الثعابين للأخريات ..

دخل الحجرة ، وجد ثعباناً ضخماً كاد يبتلعه ، ابتسمت فرحانة ، احتضنت الثعبات وداعبته ، وهو يلتف حولها .. وحينما يقترب منه سليمان يهجم عليه ، وفرحانة تبتسم ، فرَّ سليمان هارباً ، وتذكر إغلاق سلمي فمه حينما أرادت (حيرز) التبول فيه .. من يومها امتنع (سليمان) عن قتل أي ثعبان يعشش في حجرة أي امرأة.

المؤلف

- عبد الله مهدي عبد الله.
- مواليد قرية كراديس — مركز ديرب نجم — محافظة الشرقية.
- حاصل على ليسانس آداب — قسم اللغة العربية ، ودبلوم الدراسات العليا في التذوق الفني من المعهد العالي للنقد الفني — أكاديمية الفنون المصرية.
- عضو عامل باتحاد كتاب مصر.
- عضو عامل بنادي أدب ديرب نجم.
- نشرت أعماله الإبداعية (قصص — دراسات أدبية — مقالات أدبية — مقالات فنية) في العديد من المجلات والدوريات المصرية والعربية.
- حصل على العديد من الجوائز في مسابقات القصة القصيرة والمسرح والدراسات النقدية.

صدر له :-

- إضراب عمال الجبانات — ثلاث مسرحيات قصيرة — عن الشركة العربية للنشرة والتوزيع — القاهرة — أغسطس ١٩٩٨م.

- عودة أصحاب الرؤوس السود — مسرحية من ثلاثة فصول — دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر — أكتوبر ١٩٩٩م.
- عودة خضرة الشريفة — مسرحية بالعامية المصرية من ثلاث فصول — ثقافة الشرقية — إبريل ٢٠٠٢م.
- خيول النهار — كتاب الأدباء — مشترك — هيئة قصور الثقافة.
- القصة القصيرة المعاصرة (دراسة ومختارات) — أصوات معاصرة — العدد ٦٨ — أبريل ٢٠٠١ م — (كتاب مشترك).
- ترانيم شرقاوية — مشترك — مديرية الشباب والرياضة بالشرقية ٢٠٠١م.

الفهرست

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٢١٤٣/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N
977.374.054.4

دار الإســلام للطباعـة والنشــر
0122614363 - 050/ 2250453